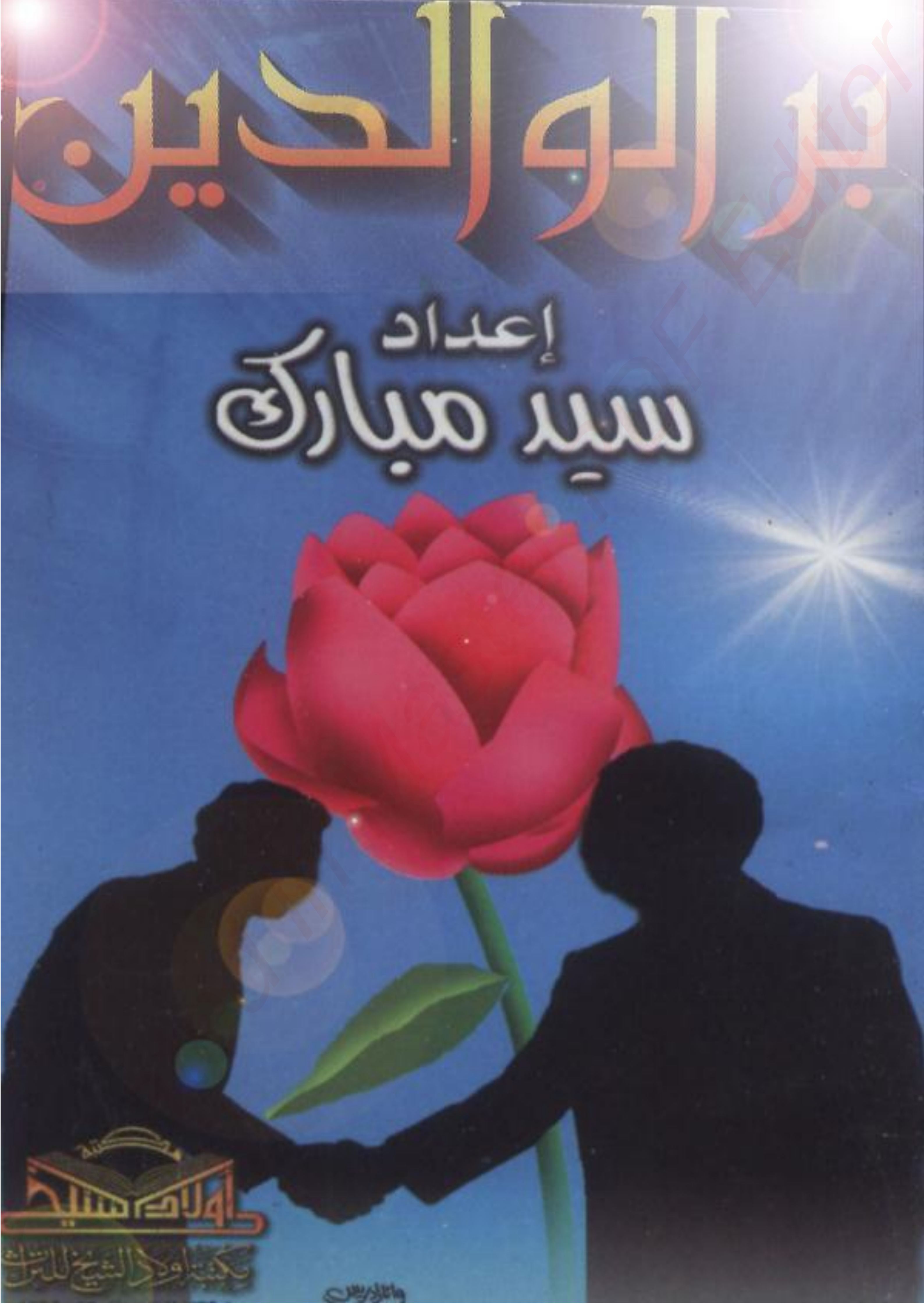


بر الوالدين
إعداد
سيد مبارك
مكتبة
أولاد الشيخ
مكتبة أولاد الشيخ للتراث

من وصايا الرسول ﷺ

بر الوالدين

تأليف
سيد مبارك
(أبو بلال)





بسم الله الرحمن الرحيم

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا
إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

رقم الإيداع
٢٠٠٣/٩٨٧٠

الترقيم الدولى
977-5986-98-2

مكتبة أولاد الشيخ للتراث

٣٦ ش اليابان - عمرانية غربية - الهرم تليفون/ ٥٦٢٨٣١٨
٤٢ ش إبراهيم عبد الله من ش المنشية - فيصل/ ٧٤١٠٧٠٤
محمول / ٠١٠/٥١١٢٤٤٦

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، حمد عباده الشاكرين الذاكرين، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد.. أخى القارئ

بين يديك رسالة صغيرة الحجم، ولكنها كبيرة النفع إن شاء الله تعالى، ولا أبالغ إن

قلت إنها أهم رسالة جيب أكتبها لأهمية موضوعها.. لماذا؟

لأن عقوق الوالدين وجحد فضلهما من أبناء القرن الواحد والعشرين صار سمة غالبة على تصرفاتهم، وهذا أمر ينذر بانحطاط الأخلاق إن لم يدرك الأبناء خطورة ما يقدمون عليه من عقوق وجحود وسوء أدب مع الوالدين.

وفى هذه الرسالة أدعو الأبناء إلى بر الوالدين بالإحسان إليهما ابتغاء مرضاة الله تعالى، فى نفس الوقت أدعو الآباء والأمهات بإعادة النظر فى أسلوب تربية وتوجيه وإرشاد الأبناء بتقاليد وعادات تخالف تعاليم الله

ورسوله ﷺ .

وأسأل الله تعالى أن ينفع الجميع بهذه الرسالة، وأن يجعلها لوجهه الكريم إنه سبحانه وتعالى نعم المولى ونعم النصير والحمد لله رب العالمين.

كتبه

سيد مبارك (أبو بلال)

١٤ صفر ١٤٢٣هـ

الموافق ٢٧ أبريل ٢٠٠٢م

الترهيب من عقوق الوالدين

فى الكتاب والسنة ترهيب شديد لعاق والديه لماذا؟

لأنها كبيرة من الكبائر قد تؤدى بصاحبها إلى النار والعياذ بالله.

قال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ (الإسراء: ٢٣ - ٢٤).

نعم.. أيها الابن العاق!!

بالوالدين إحسانًا.

وبالوالدين رحمة وحنانًا، وحذار أن تقل لهما أُف أو تنهرهما وتسيء إليهما لقد حرَّم جل شأنه ذلك ويا ويلك وأنت تفعل أكثر من ذلك؟

ماذا تقول لربك وأنت واقفًا بين يديه؟

ما عذرك أيها الابن العاق؟

كيف تجرأت على معصية ربك ونهرتهما.. بل وضربتهما أيضًا!!.. وهناك من يفعل أكثر من ذلك[١]!!

جاء فى تفسير (فى ظلال القرآن) فى

(١) نعم هناك من يقتل آباه وأمه ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

معنى قوله تعالى: ﴿وبالوالدين إحسانًا﴾ الآية ما مختصره:

(بهذه العبارات الندية، والصور الموحية، يستجيش القرآن الكريم وجدان البر والرحمة فى قلوب الأبناء، ذلك أن الحياة وهى مندفعة فى طريقها بالأحياء. توجه اهتمامهم القوى إلى الأمام، إلى الذرية، إلى الناشئة الجديدة، إلى الجيل المقبل. وقلما توجه اهتمامهم إلى الوراء. إلى الأبوة. إلى الحياة المولية، إلى الجيل الذاهب ومن ثم تحتاج البنوة إلى استجاشة وجدانها بقوة لتنعطف إلى الخلف.. وتتلفت إلى الآباء والأمهات. إن الوالدين يندفعان بالفطرة إلى رعاية الأولاد،

إلى التضحية بكل شيء حتى بالذات، وكما تمتص النابتة الخضراء كل غذاء فى الحبة فإذا هى فتات ويمتص الفرخ كل غذاء فى البيضة فإذا هى قشر، كذلك يمتص الأولاد كل رحيق وكل عافية وكل جهد وكل اهتمام من الوالدين فإذا هما شيخوخة فانية - إن أمهلهما الأجل - وهما مع ذلك سعيدان.

فأما الأولاد فسرعان ما ينسون هذا كله، ويندفعون بدورهم إلى الأمام إلى الزوجات والذرية، وهكذا تندفع الحياة.

ومن ثم لا يحتاج الآباء إلى توصية بالأبناء، إنما يحتاج هؤلاء إلى استجاشة وجدانهم بقوة ليذكروا واجب الجيل الذى

أنفق رحيقه كله حتى أدركه الجفاف، وهنا يجيء الأمر بالإحسان إلى الوالدين فى صورة قضاء من الله يحمل معنى الأمر المؤكد. بعد الأمر المؤكد بعبادة الله). اهـ.

واعلم أنه مهما كان عذرك.. فى ظلمهم إياك وإساءتهما إليك فأنت مسلم عاق لماذا؟ لأنه سبحانه. أمر بمصاحبتهما فى الدنيا بالمعروف قال تعالى: ﴿ **وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا** ﴾ (لقمان: ١٥).

الله أكبر.. الله أكبر ما أعظم دينك أيها الابن العاق الله يأمرك بالإحسان إليهما ولو

كانا على الشرك، ولكن لا تطعهما فى معصية الله، فلا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق، وهذا لا يمنع من الإحسان إليهما.. فماذا تقول ووالدك على التوحيد لله رب العالمين؟!

وتأمل قصة هذا الصحابى الجليل لتدرك عظمة دينك؟ وخطورة عقوقك وجحودك وفيه نزلت هذه الآية الكريمة **﴿وإن جاهداك على أن تشرك بى..﴾**.

قصة سعد بن أبى وقاص وأمه

كان سيدنا سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه بارًا بأمه محبًا لها، وما إن سمعت بإسلامه حتى ثارت ثائرتها فأقبلت عليه

تقول: يا سعد والله لتدعن دينك الجديد أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت فينفطر (أى يتشقق) فؤادك حزنًا علىّ، ويأكلك الندم على فعلتك التى فعلت ويعيرك الناس بقاتل أمه.

ويروى لنا سيدنا سعد ما حدث بعد ذلك فيقول: لا تفعلى يا أماه فأنا لا أدع دينى لأى شىء لكنها مضت فى وعيدها فاجتنبت الطعام والشراب ووهن عظمها وخارت قواها.

قال سيدنا سعد: فجُعلت آتيها ساعة بعد ساعة أسألها أن تتبلغ[١] بشىء من طعام، فتأبى وتقسم ألا تأكل أو تشرب حتى تموت أو يترك دينه.

---

(١) تتبلغ: أى تتناول قليلاً من الطعام ليحفظ حياتها.

فقلت لها: يا أماه إنى على شديد حبى لك لأشد حبًا لله ورسوله، والله لو كان لك ألف نفس فخرجت منك نفسًا بعد نفس ما تركت دينى هذا لشىء.

فلما رأت الجد منى أذعنت للأمر وأكلت وشربت على كره منها فأنزل الله تعالى قوله:

﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾(١) (لقمان: ١٥).

قصة علقمة وأمه

أحب أن أضيف هنا قصة مشهورة فى كثير

---

(١) انظر حياة سيدنا سعد فى سير أعلام النبلاء ١/ ٩٢، وصفة الصفوة/ ١.

من الكتب يحكيها الناس بعضهم لبعض، وما من حديث عن عقوق الوالدين إلا ويذكرون قصة (علقمة وأمه)، ولو كانت مجرد قصة تُروى للترغيب أو الترهيب لهان الأمر وما تحدثنا عنها، ولكنها قصة تُروى كحديث عن النبى ﷺ وهنا وجه الخطورة.. لماذا؟

لأن الكذب عن النبى ﷺ أو التعمد فى نسب الحديث إليه ولو من باب الترغيب والترهيب كبيرة من الكبائر وهو الذى حذر وأنذر من يفعل ذلك بقوله ﷺ :

- «من حدَّث عنى بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين».

- وأيضًا الحديث الذى رواه مسلم عن

أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: «من تعمد علىَّ كذبًا فليتبوأ مقعده من النار»[١].

والحديث عمومًا ضعيف جدًا ولا يصح وعلته (فائد بن عبد الرحمن) وهو متروك، كما قال الهيثمى وغيره، ولهذا لا يصح الاستشهاد ولو من باب الترغيب والترهيب وها هو الحديث كما جاء ليكون القارئ الكريم على بيِّنة، والله المستعان.

عن أنس رضى الله عنه قال: كان شاب على عهد رسول الله ﷺ يسمى علقمة،

(١) أخرجه مسلم فى باب تغليظ الكذب على الرسول ﷺ

وكان شديد الاجتهاد عظيم الصدقة، فمرض فاشتد مرضه فبعثت امرأته إلى رسول الله ﷺ أن زوجي في النزع، فأردتُ أن أعلمك بحاله، فقال رسول الله ﷺ لبلال وعليّ وسلمان وعمار: «اذهبوا إلى علقمة فانظروا ما حاله»، فانطلقوا حتى دخلوا عليه، فقالوا له: قل لا إله إلا الله، فلم ينطق لسانه، فلما أيقنوا أنه هالك، بعثوا بلالاً إلى رسول الله ﷺ ليخبره بحاله فقال رسول الله ﷺ: «هل له أبوان؟» فقيل له: أما أبوه فقد مات، وله أم كبيرة السن، فقال: «يا بلال انطلق إلى أم علقمة، فأقرئها مني السلام وقل لها: إن قدرت على

لسير إلى رسول الله ﷺ وإلا فترى حتى يأتيك رسول الله ﷺ »، فذهب بلال فأخبرها، فقالت: نفسى لنفسه الفداء، أنا أحق بإتيانه، فأخذت العصا، فمشت حتى دخلت على رسول الله ﷺ فقال: «اصدقينى، فإن كذبتنى جاءنى الوحى من الله تعالى، كيف حال علقمة؟» قالت: يا رسول الله، كان يصلى كذا، ويصوم كذا، وكان يتصدق بجملة من الدراهم، ما يدرى كم وزنها، وما عددها.

قال: «فما حالك وحاله؟» قالت: يا رسول الله. إنى عليه ساخطة واحدة، قال لها: «ولِمَ ذلك؟» قالت: كان يؤثر امرأته

عليّ، ويطيعها فى الأشياء، ويعصينى. فقال رسول الله ﷺ : «سخط أمه حجب لسانه عن شهادة أن لا إله إلا الله»، ثم قال لبلال: «انطلق واجمع حطبًا كثيرًا، حتى أحرقه بالنار».

فقالت: يا رسول الله، ابنى وثمرة فؤادى تحرقه بالنار بين يدى، فكيف يحتمل قلبى؟ فقال لها رسول الله ﷺ : «يا أم علقمة، فعذاب الله أشد وأبقى، فإن سرّك أن يغفَر الله له فارضى عنه، فوالذى بيده لا تنفع الصلاة والصدقة ما دمت عليه ساخطة».

فرفعت يديها، وقالت: يا رسول الله، أُشهد الله فى سمائه وأنت يا رسول الله،

ومن حضرنى، أنى قد رضيت عن علقمة.

فقال رسول الله ﷺ: «انطلق يا بلا فانظر، هل يستطيع علقمة أن يقول: لا إله إلا الله؟ فلعل أم علقمة تكلمت بما ليس فى قلبها حياء من رسول الله»، فانطلق بلال فلما انتهى إلى الباب، سمع علقمة يقول: لا إله إلا الله، فلما دخل بلال قال: يا هؤلاء إن سخط أم علقمة حجب لسانه عن الشهادة، وإن رضاها أطلق لسانه فمات من يومه فأتاه رسول الله ﷺ فأمر بغسله وتكفينه، وصلى عليه، ثم قام على شفير القبر وقال: «يا معشر المهاجرين والأنصار من فضل زوجته على أمه فعليه لعنة الله ولا يقبل منه

صرف ولا عدل»[١].

وهناك روايات أخرى بألفاظ مختلفة فليحذر المسلم من مثل هذه القصص التى لا تصح عن النبى ﷺ والله المستعان.

أخى القارئ:

لا ريب أنك تدرك خطورة عقوقك لوالديك ولا طاقة لك بسخط الله ونصيحتى إليك: عُد إلى ربك أيها الابن العاق وبر والديك قبل فوات الأوان.

قبل أن تأتيك المنية فتندم وتكون ممن قال

---

(١) رواه الطبرانى وأحمد، وهو ضعيف جدًا وانظر المجمع (٨/ ١٤٨) للهيثمى.

الله تعالى عنهم ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (المؤمنون: ٩٩، ١٠٠).

توبة شاب عاق لأمه

لكل عاق غافل عن حقوق والديه وبصفة خاصة الأم التى أوصى النبى ﷺ الأبناء ببرها والإحسان إليها ثلاث مرات قبل الأب لعظيم حقها عليهم أهدى إليهم هذه القصة الحقيقية لشاب تائب غفل عن أمه إرضاء لزوجته وهى قصة رغم بساطتها تمزق القلب حسرة وألمًا لما صار إليه حال الأبناء وحسبنا

الله ونعم الوكيل.

* حكى الشاب عن تجربته فقال: (مات والدى وأنا صغير فأشرفت أمى على رعايتى.. عملت خادمة فى البيوت حتى تستطيع أن تصرف علىّ، فقد كنت وحيدها.. أدخلتنى المدرسة وتعلمت حتى أنهيت الدراسة الجامعية.. كنت بارًا بها.. وجاءت بعثتى إلى الخارج فودعتنى أمى والدموع تملأ عينيها وهى تقول لى: انتبه يا ولدى على نفسك ولا تقطعنى من أخبارك.. أرسل لى رسائل حتى أطمئن على صحتك.

أكملت تعليمى بعد مضى زمن طويل ورجعت شخصًا آخر قد أثرت فيه الحضارة

الغربية. . رأيت فى الدين تخلفًا ورجعية. وأصبحت لا أؤمن إلا بالحياة المادية.

وحصلت على وظيفة عالية وبدأت أبحث عن الزوجة حتى حصلت عليها، وكانت والدتى قد اختارت لى فتاة متدينة محافظة. ولكنى أبيت إلا تلك الفتاة الغنية الجميلة؛ لأنى كنت أحلم بالحياة «الأرستقراطية» (كما يقولون). . وخلال ستة أشهر من زواجى كانت زوجتى تكيد لأمى حتى كرهت والدتى. .

وفى يوم من الأيام دخلت البيت، وإذ بزوجتى تبكى، فسألتها عن السبب؟ فقالت لى: شوف يا أنا يا أمك فى هذا البيت. . لا

أستطيع أن أصبر عليها أكثر من ذلك.

جن جنونى وطردت أمى من البيت فى لحظة غضب، فخرجت وهى تبكى وتقول: أسعدك الله يا ولدى..

وبعد ذلك بساعات خرجتُ أبحث عنها، ولكن بلا فائدة.. رجعت إلى البيت واستطاعت زوجتى بمكرها وجهلى أن تنسينى تلك الأم الغالية الفاضلة.

انقطعت أخبار أمى علىَّ فترة من الزمن أصبتُ خلالها بمرض خبيث دخلت على إثره المستشفى، وعلمت أمى بالخبر فجاءت تزورنى، وكانت زوجتى عندى، وقبل أن تدخل علىّ طردتها زوجتى، وقالت لها:

ابنك ليس هنا.. ماذا تريدين منا؟ اذهبى عنا، ورجعت أمى من حيث أتت.

وخرجت من المستشفى بعد وقت طويل انتكست فيه حالتى النفسية وفقدت الوظيفة والبيت، وتراكمت علىّ الديون.. وكل ذلك بسبب زوجتى، فقد كانت ترهقنى بطلباتها الكثيرة، وفى آخر المطاف ردت زوجتى الجميل وقالت: ما دمت قد فقدت وظيفتك ومالك ولم يعد لك مكان فى المجتمع فإنى أعلنها لك صريحة: أنا لا أريدك.. طلقنى.

كان هذا الخبر بمثابة صاعقة وقعت على رأسى.. وطلقتها بالفعل فاستيقظت من السبات الذى كنت فيه.

خرجت أهيم على وجهى أبحث عن أمى، وفى النهاية وجدتها، ولكن أين وجدتها؟!!

كانت تقبع فى أحد الأربطة تأكل من صدقات المحسنين.

دخلت عليها.. وجدتها وقد أثر عليها البكاء فبدت شاحبة، وما إن رأيتها حتى ألقيت بنفسى عند رجليها وبكيت بكاء مرًا، فما كان منها إلا أن شاركتنى البكاء، بقينا على هذه الحالة حوالى ساعة كاملة.. بعدها أخذتها إلى البيت وآليت على نفسى أن أكون طائعًا لها، وقبل ذلك أكون متبعًا لأوامر الله ومجتنبًا لنواهيه.

وها أنا الآن أعيش أحلى أيامى وأجملها

مع حبيبة العمر: أمي - حفظها الله - وأسأل الله أن يُديم علينا الستر والعافية)[١]. اهـ.

تقديم بر الوالدين على الجهاد

وصلت عظمة الإسلام أن جعل بر الوالدين مقدمًا على الجهاد في سبيل الله تعالى.

ذلك لأن بر الوالدين والإحسان إليهما فرض عين على كل مسلم ومسلمة.. أما الجهاد في سبيل الله فهو فرض كفاية إن قام به البعض سقط عن الآخرين.

وفي السنة الصحيحة أحاديث كثيرة تدل على ذلك منها:

---

(١) من كتاب «العائدون إلى الله»، لمحمد بن عبد العزيز المسند.

• عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ أى العمل أحب إلى الله؟

قال: «الصلاة على وقتها».

قلت: ثم أى؟

قال: «برالوالدين».

قلت: ثم أى؟

قال: «الجهاد فى سبيل الله»(١).

- وعن عمرو بن العاص رضى الله عنه. قال: أقبل رجل إلى النبى ﷺ فقال: أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغى الأجر من

---

(١) أخرجه البخارى (٢/ ٥٢٧/ فتح) ومسلم (١/ إيمان/ ٨٩/ ١٣٧).

الله تعالى.

فقال النبى ﷺ: (وهل لك من والديك أحد حى؟).

قال: نعم.. بل كلاهما.

قال ﷺ: (فتبتغى الأجر من الله تعالى).

قال الرجل: نعم.

قال النبى ﷺ: (فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما)[1].

بر الوالدين فى عيون السلف الصالح

كان سلفنا الصالح يدرك عظمة ثواب بر الوالدين فتنافسوا فى ذلك، وفى سيرتهم العطرة سواء جيل الصحابة أو التابعين أو

(١) أخرجه البخارى (١٠/ ٥٩٧٢/ فتح).

ابعى التابعين ما يشهد على ذلك وهم خير نرون الإسلام كما أخبرنا الصادق المعصوم ﷺ ، ولنا فيهم قدوة حسنة لنحذو حذوهم ونستمع لنصائحهم ونتبع خطاهم . .

وها هو ابن عباس رضى الله عنهما وهو حبر هذه الأمة يقول محذرًا كل عاق لوالديه ما نصه :

(أنزل الله تعالى ثلاث آيات مقرونة بثلاث لا يقبل الله واحدة بغير قرينتها **أولاها**: قوله تعالى : ﴿وأقيمــوا الصــلاة وآتـوا الزكـــاة﴾ (البقرة: ٤٣) .

فمن صلى ولم يؤت الزكاة فلن يقبل منه .

والثانية: قوله تعالى : ﴿وأطيعوا الله

والرسول﴾ (آل عمران: ١٣٠).

فمن أطاع الله ولم يطع الرسول لم يقب
منه.

والثالثة: قوله تعالى: ﴿أن اشكر لي
ولوالديك﴾ (لقمان: ١٤).

فمن شكر الله ولم يشكر لوالديه لم يقبل
منه[1].

وذاك سيدنا على بن أبى طالب رضى الل
عنه يقول: لو علم كلمة فى العقوق أدنى مر
أُف لحرمه فليعمل البار ما يشاء أن يعمل فلن
يدخل النار، وليعمل العاق ما يشاء أن يعمل
فلن يدخل الجنة.

---

(١) ذكره ابن حجر فى الزواجر (٢/١٤٦، ١٤٧).

ابعى التابعين ما يشهد على ذلك وهم خير نرون الإسلام كما أخبرنا الصادق المعصوم ﷺ ، ولنا فيهم قدوة حسنة لنحذو حذوهم ونستمع لنصائحهم ونتبع خطاهم..

وها هو ابن عباس رضى الله عنهما وهو حبر هذه الأمة يقول محذرًا كل عاق لوالديه ما نصه:

(أنزل الله تعالى ثلاث آيات مقرونة بثلاث لا يقبل الله واحدة بغير قرينتها **أولاها**: قوله تعالى: ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ (البقرة: ٤٣).

فمن صلى ولم يؤت الزكاة فلن يقبل منه.

والثانية: قوله تعالى: ﴿وأطيعوا الله

الصالحين يقبل كل يوم قدم أمه وتأخر يومًا على إخوته فسألوه، فقال: كنت أتمرغ فى رياض الجنة فقد بلغنا أن الجنة تحت أقدام الأمهات[١].

والصور من ذلك كثيرة يضيق بها المقام فى هذه العجالة ولله در القائل:

لأمك حق لو علمت كثير
كثيرك يا هذا لديه يسير
فكم ليلة باتت بثقلك تشتكى
لها من جواها أنة وزفير

---

(١) (الجنة تحت أقدام الأمهات) حديث لايصح بهذا اللفظ وسنذكر حديثًا صحيحًا له نفس المعنى إن شاء الله.

وفى الوضع لو تدرى عليها مشقة
فمن غصص[١] منها الفؤاد يطير

وكم غسلت عنك الأذى بيمينها
وما حجرها إلا لديك سرير

وتفديك بما تشتكيه بنفسها
ومن ثديها شراب لديك غير

وكم مرة جاعت وأعطتك قوتها
حنانًا وإشفاقًا وأنت صغير

وآها لذى عقل ويتبع الهوى
وآها لأعمى القلب وهو بصير

فدونك فارغب فى عميم دعائها
فأنت لما تدعو إليه فقير

---

(١) يشبه مشقة وضع الحمل بمن غصَّ الماء فى حلقه.

الجزاء من جنس العمل

الجزاء من جنس العمل وكما يدين المرء يدان، وفى هذه الجزئية من الرسالة أتوجه بحديثى إلى الوالدين وأسألهما سؤالاً.. لماذا هذا العقوق والجحود ونكران الجميل من الأبناء ونحوهما؟!

نقرأ عن حوادث تثير الحسرة والألم فى القلب، فهذا ابن عاق يلقى على وجه أبيه العجوز ماء النار؛ لأنه منعه من مخالطة رفقاء السوء.

وذاك يضرب أمه ويطردها من شقتها ولم يرحم شيخوختها ليرضى زوجته التى عماها الحقد لوجودها معهما فحرضت زوجها

بافتعال الأسباب.

وعشرات من الجرائم فى حق الوالدين من أبناء هذا الزمان تثير العجب والدهشة ويندى لها الجبين خجلاً.

وهذا يجعلنا نسأل مرة أخرى:

كيف انفلتت أعصاب الأبناء وانحطت أخلاقهم إلى هذا الدرك الخطير وهذا الجُرم الشنيع؟!

والإجابة واضحة لكل ذى لُب وعقل والجزاء من جنس العمل.

إن تربية الأبناء تتم بأسلوب عفا عليه الزمن، أسلوب تتحكم فيه العادات والتقاليد. أما تعاليم الله ورسوله فى كيفية تربية الأبناء

وتوجيهم فيتجاهلها الآباء والأمهات عن جهل أو نية وقصد.

فالأمر سيان والنتيجة واحدة عقوق وجحود من الأبناء وفعل ورد فعل من الوالدين، وهذا كله لا ريب يؤدى إلى نتائج خطيرة، ونصيحتى للوالدين أن يلتزما بالحكمة والصبر فى معالجة انعواج وتصرفات أبنائهم وأن يجتهدا فى سد الأبواب التى يدخل منها الشيطان وهى أسباب من صنع أيديهما وإهمالهما جريًا وراء متاع الدنيا الزائل وها هى بعضها لإصلاحها قبل فوات الأوان.. قبل أن تنقطع أواصر الثقة والاحترام بينهما وبين أبنائهم والله المستعان:

١ - الانشغال الدائم للأب فى عمله للحصول على المال اللازم لسد العجز فى ميزانية الأسرة من مصاريف الدروس الخصوصية التى تفترس ميزانية أى بيت وتجعل أعزة أهلها أذلة أضف إلى ذلك مصاريف البيت لزوم المأكل والمشرب والملبس، وخلافه مما جعل الأب يلهث ويعمل صباحًا ومساءً فيعود إلى البيت مرهقًا، وبالتالى يهمل توجيه الأبناء وإرشادهم والاستماع إلى مشاكلهم.

٢ - خروج الأم إلى العمل لمساعدة الزوج فى نفقات البيت أو للتبلية وقتل الوقت، أو للتشدق بالمساواة والحرية المزعومة تاركة مسئولياتها الطبيعية، والفطرية فى رعاية

الأولاد، ونتج عن غياب الوالدين أن الأولاد لم يجدوا من يرشدهم إلى الصواب فوقعوا فريسة سهلة للأفكار المتطرفة، والتنطع والغلو لقلة خبراتهم وتجاربهم فى الحياة.

٣ - الكم الرهيب من أفلام الجنس والعنف والجريمة التى يراها الأبناء دون حسيب أو رقيب عن طريق جهاز التلفاز الذى يتحفنا بكل شاذ وغريب ومدمر للقيم والأخلاق وقنوات الدش وأشرطة الفيديو.. إلخ مما أثار غرائزهم وشهواتهم وفتح لهم الباب على مصراعيه للفساد والإفساد.

٤ - رفقاء السوء الذين يختلط بهم الأبناء

دون حسيب أو رقيب لانشغال الآباء والأمهات بأعمالهم، مما أدى لانحراف الأبناء وإلى مجاراتهم فى ممارسة الرذيلة وإدمان المخدرات إلا من رحم ربى[(١)].

هذه هى أهم الأسباب التى تؤدى إلى العقوق والجحود الذى نراه من أبناء القرن الواحد والعشرين.

وعلى الوالدين قطع دابر هذه الأسباب وغيرها بلا هوادة أو كلل أو تردد ولا ينسيان أن الجزاء من جنس العمل والله المستعان.

---

(١) انظر كتابى (وبالوالدين إحسانًا) من سلسلة الدين النصيحة، ط المكتبة المحمودية.

بر الوالدين وعيد الأم

يخبرنا النبى ﷺ أننا سوف نتبع سنن من كانوا قبلنا من اليهود والنصارى شبرًا بشبر وذراعًا بذراع.

ونحن نعيش ونرى الآن ما حذرنا منه النبى ﷺ.

يا حسرتاه على العباد!

هل بعد دين الله ما هو خير منه؟!

لماذا نترك ما أمرنا به الله ورسوله ونتبع التقاليد الغربية الشاذة دون أن نميز بين الصالح والطالح!!

لقد جعل لنا النبى ﷺ عيدين عيد الفطر وعيد الأضحى وجعلناها نحن عشرات

الأعياد فهذا عيد المعلم، وذاك عيد الأم، وهذا عيد الحب، وهكذا أمة لا حول لها ولا قوة يتربص بها الأعداء من كل جانب..

تهان مقدساتها على يد أحفاد القردة والخنازير وأولاد الأفاعي ويستحيي نساؤها ويقتل رجالها وشبابها..

ولا تجد غضاضة ولا تستحي من الاحتفال بالأعياد واختيار الأم المثالية وإنا لله وإنا إليه راجعون.

عيد الأم من الذى شرعه.. الله ورسوله!

إن الإسلام جعل أيام الأم - كلها - أعيادًا والأحاديث فى ذلك كثيرة تدعو إلى برها والإحسان إليها من ذلك:

ما روى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال (جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله من أحق الناس بحُسن صحابتى؟

قال: أمك قال: ثم من؟

قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أمك.

قال: ثم من؟ قال: أبوك)[١].

- ومن ذلك ما روى عن معاوية بن جاهمة أن جاهمة جاء إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله أردت أن أغزو، وقد جئت أستشيرك؟ فقال: (هل لك من أم)؟ قال: نعم. قال: (فالزمها، فإن الجنة عند

---

(١) أخرجه البخارى (١٠/ ٥٩٧١ فتح).

رجلها)[١].

ولهذا نسأل ما الداعى لتخصيص يوم واحد فى السنة للاحتفال بالأم، بينما الله ورسوله ﷺ يدعونا كمسلمين إلى برها والإحسان إليها مدى الحياة وبعد موتها.

إنه عيد ابتدعه وأوجدته وحثت عليه المجتمعات الأوروبية لأنهم يعيشون تفككًا أسريًا وانحلالاً خلقيًا.

وقد يخرج أبناؤهم ويتركون بيوتهم في سن المراهقة دون إذن من آبائهم وأمهاتهم!! وهذا أمر عادى عندهم، فجعلوا يومًا للأم كي يذكروهم بفضلها عليهم.

---

(١) انظر صحيح سنن النسائى (٢٩٠٨).

فهل نحن بحاجة إلى ذلك؟

ثم أين نحن من قول النبى ﷺ : (من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)[(١)].

ولا تعليق لنا بعد ذلك.

وليس بعد كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ ما يقال والله المستعان.

حقوق الوالدين

للوالدين حقوق يجب على الأبناء الوفاء بها وإلا تعرض العاق منهم إلى غضب الله تعالى وسخطه وها هى أهم الحقوق مع الشرح والتوضيح وذكر الأدلة ليمت من مات

(١) أخرجه البخارى (٥/ ٢٦٩٧/ فتح) عن عائشة رضى الله عنهما.

عن بينة، ويحيا من حيا عن بينة والله المستعان.

الحق الأول: السمع والطاعة:

رضا الوالدين عن أبنائهما ثمرته رضا الله عنهم والعكس صحيح وفى الحديث الصحيح أن النبى ﷺ قال: (رضا الله فى رضا الوالدين وسخط الله فى سخط الوالدين)[١].

قصة جريج الراهب وأمه

وإليك أخى القارئ هذه القصة التى جاءت فى أحاديث صحيحة لتدرك خطورة، عدم طاعتك للوالدين، وخصوصًا الأم والله

(١) انظر صحيح سنن الترمذى (١٥٤٩).

المستعان:

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «لم يتكلم فى المهد إلا ثلاثة: عيسى ابن مريم وصاحب جريج وكان جريج رجلاً عابدًا فاتخذ صومعة فكان فيها فأتته أمه وهو يصلى فقالت: يا جريج فقال يا رب أمي وصلاتى فأقبل على صلاته فانصرفت فلما كان من الغد أتته وهو يصلى فقالت: يا جريج، فقال: يا رب أمى وصلاتى فأقبل على صلاته.

فقالت: اللهم لا تمته حتى ينظر إلى وجوه المومسات، فتذاكر بنو إسرائيل جريجًا وعبادته، وكانت امرأة بغى يتمثل بحسنها

فقالت: إن شئتم لأفتننه لكم. قال: فتعرضت له فلم يلتفت إليها، فأتت راعيًا كان يأوى إلى صومعته فأمكنته من نفسها فوقع عليها فحملت فلما ولدت قالت: هو من جريج فأتوه فاستنزلوه وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه.

فقال: ما شأنكم؟ قالوا: زنيت بهذه البغى فولدت منك فقال: أين الصبى، فجاءوا به. فقال: دعونى حتى أصلى، فصلى فلما انصرف أتى الصبى فطعن فى بطنه وقال: يا غلام من أبوك؟ قال: فلان الراعى. قال: فأقبلوا على جريج يقبلونه ويتمسحون به، وقالوا: نبنى لك صومعتك من ذهب.

قال: لا أعيدوها من طين كما كانت.. ففعلوا ثم ذكر باقى الحديث»[١].

قال الإمام النووى فى شرحه للحديث:

وفى حديث جريج فوائد كثيرة، منها عظم بر الوالدين، وتأكد حق الأم، وأن دعاءها مجاب، وأنه إذا تعارضت الأمور بدئ بأهمها، وأن الله تعالى يجعل لأوليائه مخارج عند ابتلائهم بالشدائد غالبًا.. اهـ.

فاجتهد أخى القارئ فى طاعة والديك وبرهما.. نعم قد يحدث أن يشذ بعض الآباء أو الأمهات ويطلبون من أبنائهم ما لا يرضى الله تعالى، إما للجهل بالحلال والحرام

(١) أخرجه مسلم (٤٦٢٦/ كتاب البر والصلة والآداب).

أو بقصد ونية، وسواء هذا أو ذاك فرض الله الإحسان إليهما بالمعروف كما سبق وذكرت فى قصة سيدنا سعد.

ولأننا نعيش فى عصر تقدمت فيه العلوم وتغيرت فيه كثيرًا من المفاهيم وصار الأبناء على درجة عالية من الثقافة والعلم ما لم يكن لآبائهم وأمهاتهم وربما كان الكثير منهم لا يقرأ ولا يكتب ولا يستطيعون مجاراة أبنائهم فيما استحدث من علوم عصرية.

أقول: ربما يشذ بعض الآباء والأمهات ويطلبون من أبنائهم شيئًا خاطئًا فماذا يجب أن يفعل الأبناء؟

من الخطأ الرد عليهم ووصفهم بالجهل

والغباوة والأمية.. بل هذا حرام لا ريب فى ذلك.

ولنا فى سيدنا إبراهيم عليه السلام أسوة حسنة فى التأدب مع الوالدين ومحاولة إقناعهما بالخطأ.

نعم ليتأمل الأبناء السوبر.. أبناء عصر الإنترنت والاستنساخ هذا الحوار الراقى الذى جاء فى كتاب الله تعالى بين إبراهيم عليه السلام وأبيه.

قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ (مريم: ٤٣).

فقال الأب الجاحد الظالم لنفسه الذى يصر

على الشرك ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ (مريم ٤٦)

فماذا كان رد سيدنا إبراهيم عليه السلام.. هل سبه وضربه؟ هل أساء إليه وجرح مشاعره وأنكر فضله وجحده واتهمه بالجهل والغباوة.. أبدًا لا شيء من هذا كله، وإنما قال قوله تعالى: ﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ (مريم: ٤٧).

هكذا يكون أدب الحوار مع الوالدين مهما كان ظلمهما وتقصيرهما تجاه الأبناء والله المستعان.

الحق الثانى: خدمتهما ورعايتهما:

خدمة الوالدين ورعايتهما أمر لا يتركه إلا جاحد وعاق والابن الذى يتكبر أُذكره بقوله تعالى: ﴿واخْفِضْ لهُمَا جنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كمَا ربَّيَانِي صَغيراً﴾ (الإسراء: ٢٤).

وها هى أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما تقول: قدمت على أمى، وهى مشركة فى عهد رسول الله ﷺ فاستفتيت رسول الله ﷺ قلت: قدمت أمى، وهى راغبة[١]، أفأصل أمى؟

---

(١) راغبة: أى طامعة فيما عندى تسألنى الإحسان إليها.

قال: (نعم صلى أمك)[١].

فلا تتردد أخى القارئ فى خدمة والديك بالمال والجهد وتعمل على راحتهما وتذكَّر قصة الثلاثة الذين حبستهم صخرة فى غار بالجبل وأخرجهم الله بصالح أعمالهم، وكان أحدهم له والدان شيخان كبيران وله صبية صغار كان لا يطعمهما حتى يُطعم أباه وأمه، فجاء يومًا فوجدهما قد ناما وأبناؤه يبكون من الجوع وكره أن يبدأ بالصبية قبلهما، فظل ينتظرهما أن يستيقظا حتى طلع الفجر[٢].

(١) أخرجه البخارى (٥/ ٢٦٢٠/ فتح).

(٢) انظر الحديث، أخرجه البخارى (٤/ ٢٢٧٢/ فتح).

الحق الثالث: الدعاء لهما فى حياتهما وبعد موتهما:

أخى القارئ.. قال لنا العلماء من لم يدع لأبيه وأمه بعد كل صلاة فقد عاقهما والدعاء لا يكلف المرء شيئًا.

فادعو لوالديك بكل خير، وتذكر قصة سيدنا أبى هريرة مع أمه فهى قصة عظيمة وها هو يرويها لنا بنفسه.

قال رضى الله عنه: (إن أمى كانت مُشركة وإنى كنت أدعوها إلى الإسلام وكانت تأبى على، فدعوتها يومًا فأسمعتنى فى رسول الله ﷺ ما أكره فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكى.

فقلت: يا رسول الله إنى كنت أدعو أمى إلى الإسلام وكانت تأبى على فدعوتها يومًا فأسمعتنى فيك ما أكره، فادع الله عز وجل أن يهدى أم أبى هريرة.

فقال النبى ﷺ: (اللهم اهد أم أبى هريرة).

فخرجت أعدو لأبشرها بدعاء النبى ﷺ، فلما أتيت الباب إذا هو مغلق، وسمعت خصخصة الماء، وسمعت رجلاً فقالت: يا أبا هريرة كما أنت.

ثم فتحت الباب وقد لبست درعها وعجلت عن خمارها فقالت: إنى أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله. فرجعت إلى رسول الله ﷺ أبكى من

الفرح كما بكيت من الحزن؟ فقلت: يا رسول الله، أبشر فقد استجاب الله دعاءك وقد هدى أم أبى هريرة)[١].

أرايت حرص أبى هريرة على الدعاء لأمه واهتمامه بها وخوفه عليها رغم شركها.. هذه هى عظمة الإسلام ورجاله.. أخى المسلم.. أختى المسلمة.

يقول النبى ﷺ: (إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له)[٢].

الدعاء للوالدين حتى بعد موتهما يصل

---

(١) انظر صفة الصفوة: ١.

(٢) أخرجه مسلم (٣/ وصية/ ١٢٥٥/ ج١٤).

ثوابه، بل إن كل عمل يفعله الأبناء وفيه خير يصل ثوابه للآباء والأمهات، وهذا من كرم الله تعالى.

فلا تبخل بالدعاء لهما واسأل الله دائمًا أن يجمعك بهما فى جنات النعيم وقل دائمًا قوله تعالى ﴿وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (الإسراء: ٢٤).

الحق الرابع: صلة الرحم التى لا رحم إلا من قبلهما وإنفاذ عهدهما وإكرام صديقهما:

لو ادرك الأبناء أن فى صلة الرحم التى قطعوها فى هذا الزمان الذى لا يسأل فيه الإنسان عن أخيه ولا يلقاه إلا فى المناسبات.

فما بالك أخى القارئ بعمه وخاله

وغيرهما من أقاربه أقول: لو أدرك الأبناء أ
صلة الرحم لو وصلوها فهى تندرج تحت
الوالدين.

الله أكبر.. سبحانه وتعالى يجعل ل
دائمًا مخرجًا لنزيد من الحسنات وننقذ أنفس
من النار.

اعلم أخى القارئ: لو مات والداك وكنت
قد قصرت فى برهما كليهما أو أحدهما ففى
صلة الرحم برًا بهما.

وجاء فى كتاب (اللباب فى البر والصل
والآداب) ما نصه:

(والرحم حق الأقارب الذين تجمعهم
نسب واحد سواء كان بينهم قوارب، أم لا.

وسواء كان بينهم محرمية أم لا، فيدخل فيهم الإخوة والأخوات، والأعمام والعمات وأولاد العم وبنات العم، والأجداد والجدات وهكذا.. وتأكد حقوق ذوى الرحم بتأكد القرابة والدنو من الإنسان فحق الإخوان والأخوات مقدم على أبناء وبنات العم، وأعمام الرجل مقدمون على أعمام أبيه وهكذا، وصلة الرحم نوع من بر الوالدين، وذلك لأن الأقارب إنما يتصلون بالمرء عن طريق والديهم، فما وجب حق الإخوة والأخوات إلا لأنهم أولاد أمك وأبيك ولا وجب حق الخال والخالة إلا لإخوتيهما للأم ولا وجب حق الأجداد والجدات إلا لأنهم أصولنا ونحن فروعهم، وما نشأت بيننا

وبينهم هذه الصلات إلا عن طريق الآباء والأمهات)[١].

وصلة الرحم عمومًا فى قطعها ترهيب شديد ودليل ذلك ما رواه أبو هريرة من النبى ﷺ أنه قال: «إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى، قال: فذلك لك».

ثم قال رسول الله ﷺ: (اقرأوا إن شئتم ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي

---

(١) كتاب (اللباب فى الصلة والآداب) د. العجمى دمنهورى.

الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾ (محمد: ٢٢، ٢٣). .)[1].

* ومن حق الوالدين أيضًا إنفاذ عهدهما والعهد هنا هو الوصية بمعنى أن يقوم الأبناء بتنفيذ ما أوصوهم سواء كانت الوصية مكتوبة أو شفوية وإهمال تنفيذها عقوق وجحود إلا إذا كان فى الوصية معصية لله فلا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق.

وآخر شيء فى هذا الحق إكرام أصدقائهما وذلك بالإحسان إليهم والسؤال عنهم

---

(١) أخرجه البخارى (٨/ ٤٨٣٠/ فتح).

ومساعدتهم وغير ذلك فكله من بر الوالدين بعد موتهما.

وكان ابن عمر رضى الله عنهما يكرم ابن صديق لأبيه، ويقول: إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن من أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولى)[1].

وهذه هى أهم حقوق الوالدين على أبنائهما فى حياتهما وبعد موتهما والله من وراء القصد.

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ بر/ ١٩٧٩/ ١٣٤).

فهرس الكتاب